

## الجريحة الابدية

قطرة الندى العالقة بغصن الشجرة ، عندما تنعكسُ عليها أشعةُ الشمس المشرقة  
تكون أشبه شيء باللؤلؤة الصافية  
تلك القطرة اللؤلؤية ، اذا هبَّ عليها النسيم الخداع فأسقطها الى الخضيب ،  
امتزجت بالتراب ، فتحوّلت الى وحل  
ولكن يكفي ان يُصيبها شعاعٌ من الشمس المنعشة ، حتى يُبخرها فيطهرها مما  
لحق بها من الاقدار ، ويعيدها الى صفائها الاول . . .  
كذلك قل عن المرأة الطاهرة . فان قلبها هو أشبه شيء بتلك اللؤلؤة الجميلة  
قبل سقوطها من على الغصن ، بل هو أبهى وأسنى  
فاذا هبَّت عليه لوافح الشهوات والاهواء ، أسقطته الى وهدة الرذائل ، فرغته  
في حماة الدنيا  
ولكن يكفيه شعاعٌ من الحب الطاهر حتى يخلصه من كل شائبة ويعيده الى ما  
كان عليه من الجمال والبهاء



مسكينة المرأة ، وتبس حظها في هذه الحياة . نفتحها قريحة الشعراء بالطف  
الأسماء ، وجادت عليها مخيلة العشاق بأجمل الالقاب :  
سموها الشمس والقمر ، وهي المسكينة المظلمة الفؤاد  
رأوا فيها الغزال الشارد ، وهي الراححة المثقلة بتقاليد هذه الحياة  
شبهوها بالزهرة النضرة ، وهي المهشمة القلب الدامعة العينين في بلائها الشديد  
لقبوها بالحمامة البيضاء السابحة في الفضاء ، وهي العصفور المقصوص الجناحين  
في قفص الحديد

صورٌ وتشايه ، وأسماء ، وألقاب ، هيات ان تنطبق على حقيقة الواقع وواقع الحال . وليس من اسم ينطبق على هذا المسمى المسكين أحسن من الاسم الذي وضعه « ميشله » المؤرخ الفرنسي الشهير لما سمي المرأة « الجريمة الابدية » . كيف لا وهي جريمة ابنة وزوجة وأماً . . . ؟

بل كلها جروح دامية اذا تناولها اعصار هذه الحياة فتلاعب بها كما يتلاعب بوراق الخريف ، وطرحها أخيراً في مواخير البقاء ، فتصبح ثغراً ضحواً باسماء ، وقلباً خفوقاً دامياً ، تغازل بالعين ، وتبكي بالأخرى ؛ وتداعب باليد ، وباليد الثانية تسند فؤاداً تُصدّعه الذكرى



جمع أحد مشاهير المصورين حياة احدى هذه التعبسات في خمسة رسوم بديعة الوضع والصنع . ففي الاول : صورة فتاة طاهرة ساذجة عند وصولها من قرينها الى المدينة ؛ وفي الثاني : وقوعها بين مخالب أحد اللذائب البشرية ؛ وفي الثالث : نزولها الى بيوت الفحشاء ؛ وفي الرابع : نزولها في السجن ، لأن الفاقة ساقها الى السرقة ؛ وفي الخامس : امرأة ناحلة جرداء ، عليها أسمال بالية ، وهي تمدُّ يدها الى المارّين تستعطهم هاتفةً : « أعطوني حفظ الله ابناكم من بناتي . . . ! »



هذه هي صورة اكثر النساء اللواتي وُصمنَ بوصمة العار وهي صورة غنية عن الشرح والتعليق . ولكن هناك فرضاً واجباً يتحتم علينا قضاؤه . قلب هذه المرأة المسكينة كان ضحية الحياة الاجتماعية . فعلى الحياة الاجتماعية أن تضمد جرحه ، وهي أدمنته ؛ وتدأوي قرحه ، وهي أحدثته . فتسكب عليه بلسماً ، لا خلا يزيد المأق قال فيكتور هوغو : « أيها الرجل — وكلنا هذا الرجل — لا تحتقر أبداً امرأة سقطت ، لأنك لا تعرف نحت أي حمل ثقيل رزحت نفسها المسكينة »

أجل لا يليق بالإنسان أن يزدرى تلك المخلوقة التي أعيتها أفعال هذه الحياة فسقطت إلى الحضيض ، بل يجب عليه ان يمدَّ اليها يداً كريمة فينشئها من سقطتها ويرفها من كبوتها



في فرنسا جمعية يرئسها الموسيو ليون بورجوا الوزير الفرنسي السابق ، هي أفضل من الجمعيات الخيرية ، وأسمى غاية وأنبلى مقصدًا من سائر الاعمال المعروفة بالأعمال الانسانية ؛ خصص أعضاؤها ذواتهم بزيارة تلك المنازل الثنتة التي دُفنت فيها الانفس الحية فصارت تشبه القبور المكسّسة : ظاهرها الرونق والبهاء ، وداخلها الثعاسة والشقاء . يزورون تلك الخبايا المظلمة ، فيزورها معهم شعاع الحياة والرجاء فينمش الافئدة الذابلة ويحيي القلوب المائتة . يزورون تلك المنازل فيأخذون من طُرح فيها من سفالة البشرية ، ويضعونها في كير التنشيط ويدنونه من نار الامل ، فتطهره ويصوغون منه نفساً جديدة طاهرة لا عيب فيها ولا دنس



ونحن في حاجة ماسة الى مثل هذه الجمعية التي تخدم البلاد أجلّ خدمة فتعلم السيدات ما هي الشفقة والرحمة ، وتعلم التعيسات ما هو الصبر والرجاء



### ﴿ أقوال مأثورة ﴾

- كن على حذر من الكريم اذا هونتُه . ومن الاحق اذا مزحتُه . ومن العاقل اذا أغضبتُه . ومن الصديق اذا أفشيت بسرّه . ( ابن عبد ربه )
- قال بعضهم : انظر الى المتصح فان أذاك بما لا ينفعك ويضرُّ غيرك فانه شرير . وان أذاك بما ينفعك ويضرُّ غيرك فانه طامع . وان أذاك بما ينفعك ولا يضرُّ غيرك . فاصغ اليه وعود عليه . ( الراغب الاصفهاني )

## روسيا وبنو رومانوف

سبق للزهور أن نشرت صورة الشيخ يوسف الخازن صاحب «الآخبار» المحتجبة. وهو الكاتب المجيد الذي طالما طرب القراء لمقالاته الشائقة وإبجائه الدقيقة. ويسر ان تقدم اليوم لقرائنا المقالة التالية منه، قال :

في أوائل الشهر الماضي خُيِّمَ القرن الثالث لجلوس مخائيل رومانوف على عرش روسيا، وهو جدُّ الدولة المالكة فيها اليوم، فاحتفل الروسُ بذلك احتفالاً باهراً توفرت فيه مظاهرُ الأبهة والعظمة على ما يليق بالدولة التي تظللُ رايتهَا سدس بلاد الله مساحةً وعُشر عبادِه عددًا. فحجَّ القيصر انى بيت جدهِ في موسكو، حيث يُحفظُ المهدي الذي ضمَّهُ واللعب التي لها بها وسائر الذخائر المتروكة عنه، مما يحفظُهُ الابناء برًّا بالاباء وافتخاراً بهم؛ واقبمت الصلوات الحافلة في عاصمة روسيا تذكراً للاموات ودعاءً للآحياء، بحضرة ستة عشر مطراناً يتقدمهم بطريرك انطاكية، وقد جيء به خصيصاً من الديار الشامية لهذه الغاية؛ ووزعت الصدقاتُ وأطلق السجناء وعفي عن كثيرين من المنفيين، ووردت على القيصر التهاني من الملوكِ وروساء الحكومات وذوي الحثيات، على ما فصلت ذلك الجرائد اليومية

ولا غرابة اذا احتفلت روسيا مثل هذا الاحتفال بذكرى مخائيل رومانوف فان لابنائِه فضلاً عظيماً عليها، ومآثر عديدة تخلدُ ذكرى كثيرين منهم في التاريخ وتسوغ الافتخار بهم: فانهم تولوا روسيا، ومساحتها ثمانية ملايين كيلومتر مربع بما فيها سبيريا؛ والبحران البلطيق والاسود مقفلان في وجهها، فلا منفذ لها الا على البحر الأبيض حيث الجليد يكاد يجعل كلَّ منفذ والهواء سواء؛ واسوج على كتفها قوية الساعد شديدة البأس، تضطرها الى التنازل لها عن بعض الولايات؛ وبولندا حاجز قويٌّ بينها وبين دول الغرب تعزلها عنها، ولا تدع لها رأياً في مجالسهن؛

وفتوحات الترك تقصر نصيبها من ارث السلطنة الرومانية الشرقية على لقب وشعار<sup>(١)</sup>؛  
والعصر السلافي ، بوجه الاجمال ، ضعيف الشأن ، خامل الذكر لا يُعبأ به ، ولا  
يكترث له

وها هي الآن بعد ثلاث مئة سنة من حكمهم على ما ترى : فاتهم ما اكتفوا  
بالمحافظة على ما ورثوه واسترداد ما اضطرتهم الأحوال الى التنازل عنه في بداية  
ملكهم ، بل زادوه كثيراً بما ضموا اليه من الأملاك الواسعة في اوربا وآسيا واميركا .  
على انهم عادوا فباعوا ولايتهم الاميركية للولايات المتحدة ، كما باعت فرنسا من  
قبل ولاية لويزيانا ، ومع ذلك فمساحة روسيا الآن تناهز ثلاثة أضعاف ما كانت  
عليه في أوائل القرن السابع عشر ، عدا الإمارات المستقلة بظلمها والمناطق الداخلة  
في نفوذها . وبما يزيد هذه المساحة قيمة كونها قطعة واحدة من الغرب الى  
الشرق . فان روسيا ، من هذا القبيل ، لا يضارعها سوى الصين والولايات المتحدة .  
أما الصين فانهطاطها لم يدع لها شأناً بين الدول ولستأ نظن أن مستقبلها يكون خيراً  
من ماضيها اذا اقتضت عوامل الإصلاح على تغيير هيئة الحكومة ونظاماتها فان مثل  
هذا التغيير ما كان يوماً دواءً شافياً لأمراض الضعف والانهطاط . وكفى بمصير  
البلاد العثمانية اليوم شاهداً . واما الولايات المتحدة فمساحتها تسعة ملايين كيلومتر حال  
كون مساحة روسيا اثنين وعشرين مليوناً . نعم ان للولايات المتحدة مزية عظيمة  
على روسيا بالنظر الى الموقع الجغرافي ووحدة الأمة وقابلية البلاد للعمارة ولكن ما  
دامت دفة السياسة في يد أهل القارة القديمة فشأن روسيا أعظم وأرجح

أما البحر الأسود فقد أصبح بحيرة روسية لا ينازعها فيه منازع بفضل كاترين  
التي بسطت يدها على ساحله ، وتقولوا الذي دافع عنه دافع الجبابرة ، واسكندر

(١) لقب « قيصر » وشعار « اللسر المزدوج الرأس » الذي اتصل بالروس بمصاهرتهم  
لبنى ، بيلولوج أصحاب القسطنطينية

الذي فك القيود وحل العقود وجدد فيه المعامل والحصون رغم الأنوف . وما قبل  
عن البحر الأسود يقال عن البحر البلطقي وقد قامت عاصمة الروس على ساحله  
تفاخر رصيقها الأسوجية فتفخرها على حداثة عهدا وترسل اليها مع كل موجة  
ذكرى بطرس الاكبر قاهر كرلوس الثاني عشر ومؤسس عظمة الدولة السلافية  
على اتقاض الدولة السكندينية

اما بولندا فقد امتحت من سجل الدول وكاد الاتصار لها لا يتعدى حركات كحركة  
المسيو فلوكه الصائح في وجه الامبراطور اسكندر الثاني على سبيل الاحتجاج عند  
زيارته باريس : « لتحي بولندا يا مسيو ! » على ان فلوكه هذا هو نفسه الذي تغدى  
فيما بعد على مائدة الامبراطور تقولا الثاني في بطرس برج نسيا بولندا والبولنديين .  
لكن كيف كانت الحال فالأولى بالاحتجاج أن يوجه الى النمسا لأنه اذا كان اغتصاب  
الروس لبولندا يتم على الطمع فاغتصاب الساسة النمسيين لها لا يتم عن الطمع فقط  
بل عن قلة الوفاء ونكران الجميل ايضاً فانه لا يخفى على أحد انه لولا بولندا لبانت  
فيانا مرتعاً لخييل الترك ونالها منهم ما نال غيرها من العواصم التي فتحوها ، ولا يزال  
النمسيون يحفظون حتى اليوم في بعض متاحفهم جمجمة يزعمون انها جمجمة قره  
مصطفى وهو الوزير الذي وقف عند اسوار فيانا يهدد النمسيين ويتوعدهم بقطع  
رؤوسهم والتمثيل بهم وكاد ينفذ وعيده لولا المعونة التي جاءتهم من بولندا . وقد  
أكبر النصارى كلهم يومئذ عمل البولنديين وتغنوا به في كل مكان وكلف البابا  
تقاشاً من خيرة النقاشين ان يخلد ذكراه على الرخام ويزين به كنيسة ماري بطرس  
في رومية . اما الترك فقد حقدوا على بولندا من أجل ذلك فكانوا أول من فكر في  
تقسيمها واقترحوه على روسيا قبل ان يخطر ذلك يابلها ولم تقدم عليه الا فيما بعد  
بالحاح النمسا وروسيا

اما الهواجس التي جاءت من جانب الترك فما لبثت حتى زالت وتلاشت ولم

يبق لها أثر في الصدور . نعم ان الترك أخرجوا بطرس الأكبر يوماً فاضطر الى توقيع معاهدة بروت على شروط لا ترضيه ولكن خلفاءه اتفقوا له أيما انتقام : وهذه معاهدة قينارجه - وقد أبت كاترين أن يوقعها الروس الا في مثل اليوم الذي وقعت فيه معاهدة بروت - ومعاهدة ادرنه ومعاهدة سان ستافانو كلها تشهد بأن نجم بني رومانوف كان أعلى من نجم بني عثمان وتبين الاسباب التي جعلت كلمة روسيا في الاستانة فوق كل كلمة

اما العنصر السلافي فقد كان ارتقاء روسيا وصعود نجمها في العالم السياسي خير منشط له فدبت فيه روح جديدة وأخذ أبناء السلاف في كل مكان يحولون أنظارهم اليها ويسعون الى الاستقلال بظلمة وأثبتت الأيام انه لا تقوم لهم قائمة الا بالانضمام اليها والاتحاد معها وان من خالف ذلك منهم عاد بصفقة المغبون . وما كان بنيامين السلاف<sup>(١)</sup> ليقف وقتئذ اليوم ويخاطب النمسا ومن يشد مشددا بلهجة نمجم عنها الدول الكبرى لولا ان روسيا من ورائه تثبت عزمه وتشد أزره ، ويض القضا بمحضنة الأجدل

والحق ان روسيا قد فعلت في سبيل ابناء جنسها ما لم يفعله غيرها في القرون الحديثة وربما كان السبب في ذلك ان ابناء جنسها اكثر حاجة من سواهم الى المساعدة والتعصيد . ولم تنحصر عناية الروس بابناء السلاف فقط بل تناولت جميع الذين على مذهب الارثوذكسية ايضاً فكانت لليونان والسوريين حظ وافر منها والمشهور انه لولا الروس ما قرع جرس في سوريا ولا ارتفع صليب في جنازة مسيحية ولذلك كنت ترى المسيحيين العثمانيين بوجه الاجمال ضالعين مع روسيا في حربها مع اليابان ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى نفر من تلاميذ المدارس الاميركية لم تبلغهم عبر الماضي او ظنوا ان الانتصار لدولة غير مسيحية على دولة مسيحية يعد دليلاً على

(١) الجيل الاسود

الارتقاء وسعة الحلم والتزهد عن التعصب

••

على أن الارتقاء الاجتماعي في عهد بني رومانوف لم يبلغ في روسيا شأوَ الارتقاء السياسي وربما كان السبب الأكبر في ذلك ان الارتقاء السياسي يكفي للقيام به أفراد معدودون تتوفر لهم الاسباب اللازمة وجعلها مادية وذلك ميسور في كل آن حال كون الارتقاء الاجتماعي لا بد له من ارتقاء الأمة نفسها وهو أبعد منالاً لأنه موقوف على عوامل لا يمكن الاستغناء عنها وجعلها معنوية ومرهون بأوقات معينة قلما يمكن تعجيلها بلا ضرر . لذلك اذا صحَّ أن ينسب فضل الارتقاء السياسي الى بني رومانوف لا يصح أن ينسب اليهم التأخر الاجتماعي . ومع ذلك فقد اخذت روسيا تخطو خطوات واسعة في ترقية الشؤون الاجتماعية نظرياً وعملياً

••

هذا ما صارت اليه روسيا في عهد اربعة عشر قيصراً وأربع قيصرات تولوها مدة ثلاث مئة سنة وقل منهم من لم يترك مائة يعرف بها في التاريخ : فخائيل رومانوف منظم الشؤون الداخلية ، وألكسيس ضابط القوانين ومنقح الكتب المقدمة ، وفيودور ممد سبل الاتفاق برفع أسباب النزاع والشحناء بين الأعيان والأمراء ، وبطرس الأكبر مؤسس روسيا الحديثة ، وكاترين الاولى منقذة زوجها وجيشه برباطة جأشها وحسن فطنها ، واليصابات ماحية عقوبة الاعدام اجابة لنداء المروءة ، وكاترين الثانية الملقبة بسميراميس الشمال ، واسكندر الاول صديق نابليون وخصمه ، وتقولا الاول امين الملوك على حقوقهم الالهية ، واسكندر الثاني محرر الفلاح ، واسكندر الثالث حليف فرنسا

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد أن العائلة المالكة اليوم في روسيا ليست من بني رومانوف حقيقة ولا يربطها بها الأرابطة الرحم فقط فانها من سلالة بطرس

الثالث وهو امير الماني ارتقى عرش روسيا بعهد من حالته القيصرية اليصابات وقد  
انقضت بها دولة رومانوف في روسيا كما انقضت بسميتها دولة ثيودور في انكلترا ،  
وكاترين نفسها ليست من بني رومانوف ولا هي رومانوف ولا هي روسية مطلقاً  
فالعائلة المالكة في روسيا من هذا القبيل كالعائلة المالكة في النمسا فاتها تنسب الى  
بني هبسبورج مع انها ليست منهم الا من جانب النساء فان جدّها الامبراطور  
فرنسيس الاول من بيت لورين ولكنه تزوج ماريّا تيريزا ابنة الامبراطور كزوس  
السادس آخر بني هبسبورج وبواسطتها اتصل الملك بزوجها واولاده منها ولكنهم  
ظلوا ينتسبون الى عائلة امهم . فروسيا والحالة هذه من جملة الممالك التي تحكمها دولة  
المانية كإنكلترا وبلغاريا ورومانيا

ويتصل نسب بني رومانوف من جانب النساء ايضاً ببني روريك وهم الدولة  
التي تولت روسيا منذ اواسط القرن التاسع لليلاد وقد أدركوا في عصرهم شأنًا عظيمًا  
وصاهروا بني بليولوج اصحاب الاستانة وبني كابه اصحاب فرنسا . ومن النوادر التي  
تذكر عن مصاهرتهم لملوك فرنسا ان بسببها سمي ابن هنري الاول ملك فرنسا  
فيليب : وذلك ان امرأة هنري الاول كانت من بني روريك وكانت تتصل ببني  
بليولوج من جانب النساء وهم يزعمون انهم من سلالة فيليب المقدوني فسمت ابنها  
فيليب احياء لاسم أبي الاسكندر جدّها المزعوم

ومما يجدر ذكره ايضاً عن بني رومانوف في هذا الباب انه بينما كانت معظم  
الدول الاوروبية تهافت على نابليون الاول لتزوجه بنتاً من بناتها بعد تطلّيقه  
جوزفين أبي بنو رومانوف ان يصاهروه . نعم ان نابليون لم يطلب مصاهرتهم  
صريحاً ولكن بدا من سفيره في بطرس برج ما يدل على رغبة مولاه في اخت  
اسكندر الاول فبادرت والدتها وزوجتها زوجاً آخر حتى تسد السبيل في وجه  
نابليون . ولا يبعد ان يكون ذلك من الاسباب التي زادت حنقاً على روسيا

ومن عادة بني روماتوف انهم يشترطون بقاء بناتهم على المذهب الارثوذكسي  
اذا تزوجن بغير ارثوذكسي ويشترطون عند زواجهم بغير ارثوذكسية ان تدخل  
زوجتهم في المذهب الارثوذكسي اولاً وهي عادة تدل - بقطع النظر عن العقيدة -  
على رفعة الأخلاق وكرامة النفس فان الدين كالعرض لا يتاجر به

يوسف الخازن

## المرء ودنياه

عرف القراء اننا نرعى في ما نشره لكتاب مختلفين من اصناف مختلفة الى جعل هذه  
المجلة مرآة تتجلى فيها حالة اللغة والافكار في جميع الامصار العربية . وفي المقالة الآتية التي جاءتنا  
من دار السلام وفي ما نشرناه قبلها لكتاب الزهور في العراق ما يصح أن يكون نموذجاً للاسلوب  
الانثائي والحركة الفكرية في تلك الربوع التي عاشت اللغة العربية فيها عصرها الذهبي :

حياة المرء في دنياه ركبٌ      يجوب الارضَ في طولٍ وعرضٍ  
فتغويرٌ له في أرض قومٍ      وتعريسٌ له في غير أرضٍ  
وأيام الشهور هي المطايا      تحثُ السيرَ بعضٌ إثرَ بعضٍ  
وما عيشُ الفتى إلا غرورٌ      كظل زائلٍ او خفق ومضٍ

يعيش ابن آدم في الدنيا وهو مغرور بزهوها، وزهرتها . مشبوب الفؤاد بحبها ،  
طائر القلب اليها ، مشغول الخاطر بقطعها ووصالها ، يطلب منها الوفاء وهي تغدر به  
ويتوسل الي قربها بكل وسيلة وهي تخدعه ، وتمنيه بالوعد . « وما مواعيدها إلا  
الباطيل » ١

ولو علم الانسان - أن الدنيا عادة عطبول ، وعاشق ملول . ان وصلت قطعت ،  
وان اعطت منعت . نعيمها بوئس ، وحلوها مر ، وراحتها تعب ، ويقاؤها فناء ،  
وعمارها خراب ، واهلها في خطر منها - ما ركن اليها بكفه ، وما سعى لها كل